الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م)(المحاضرة الرابعة)

ابو منصور نزار (العزيز):٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م

خلف العزيز بالله اباه المعز الفاطمي ،وهو في الثانية والعشرين من عمره ،واتبع السياسة نفسها التي انتهجها اباؤه واجداده ،ويعد عهده عهد يسر ورخاء ،وارساء دعائم الدولة الفاطمية ،وذلك بفضل مساعدة جوهر الصقلي والوزير يعقوب بن كلس .كان العزيز رجلا ممتعا يميل الى الايهة والترف ،جوادا ،حليما ،حتى كان يصفح عن اعدائه على الرغم من انتصاره عليهم ،شغوفا بأقتناء الطيور والحيوانات ،مغرمابالصيد ، ذكيا ،اديبا ،يجيد عدة لغات ،وضع تقاليد فاطمية جديدة في المظاهر والرسوم .

اعتنى بنشر المذهب الاسماعيلي في مصر ،وامتاز عهده بعدة خطوات جريئة في هذا الشأن ،فأمر القضاة ان يصدروا احكامهم وفق هذا المذهب ،وعين الشيعة في المناصب الهامة ،واضحى لزاما على الموظفين ان يسيروا وفقا لاحكام المذهب الاسماعيلي والا فقدوا وظائفهم .واتخذ من المساجد الكبرى في مصر مراكز للدعاية للمذهب ،وحول الجامع الازهر الى جامعة تقوم بتدريس الفقه الاسماعيلي ،وعمل على ابراز الشعائر العلوية مثل اضافة عبارة (حي على خير العمل)في الاذان بالاضافة الى الاحتفال بيوم عاشوراء والغدير ،وابطل صلاة التراويح من جميع مساجد مصر .

امتاز عهده ايضا بالعطف على اهل الذمة النصارى واليهود ويبدو انه كان متأثرا بزوجته النصرانية .فرفعهم الى مرتبة الوزارة ،وقلدهم ارفع مناصب الدولة .

الواضح ان سياسة الدولة الفاطمية كانت تهدف الى السيطرة على كامل بلاد الشام وما يتبع ذلك من نشر المذهب الاسماعيلي ،فكان لزاما ان تصطدم بالقوى المختلفة التي تتنازع الحكم فيها ،مثل بني الجراح في فلسطين ،والحمدانيين في حلب ،والدولة العباسية الحريصة على مناوأة الفاطميين ،والدولة البيزنطية الطامعة في استرداد بلاد الشام ... وهكذا .

اما النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة ،فيبدوانه لم يكن مستقرا طوال عهد العزيز الفاطمي ،فقد دعا امير حاج العراق لعضد الدولة البويهي في عام (٣٨٠ه/٩٩٠م) فأضطر العزيز الى ارسال حملة حاصرت المدينتين المقدستين ،واعادت الخطبة للفاطميين،وقطعت الدعوة للعباسيين .

اتصفت العلاقة مع الخلافة العباسية بالسياسية،وجرى تبادل الرسائل بين عضد الدولة البويهي المتغلب على مقدرات الخلافة في بغداد وبين العزيز.فقد ارسل العزيز رسولا الى بغداد ولم يقم بأي محاولة للتحرش بالخلافة العباسية ،الا انه لم يدخر جهدا في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في العراق ،فأقيمت له الدعوة في الموصل على يد اميرها ابي الدرداء محمد بن المسيب العقيلي في عام (٣٨٢ه/٩٩٢م).

وقد تعاقب على حكم الدولة الفاطمية العديد من الحكام لايسع المجال لذكرهم جميعا ،فهي مدة طويلة . فنذكر ان السنوات الاخيرة من عمر الدولة الفاطمية كانت عبارة عن سلسلة من الصراعات والحروب بين ولاة الاقاليم المتنافسين على السلطة ،والقوى الخارجية التي استعانوا بها لتثبيت اقدامهم في الحكم ،واتسمت سياسة هؤلاء الولاة بالتقلبات السريعة

وكانت نهاية الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الايوبي الذي نفذ سياسة تهدف الى تثبيت مركزه في مصر ،واعادة هذا البلد الى حظيرة الخلافة العباسية .فقطعت الخطبة للعاضد الفاطمي في عام (٥٦٧هـ/١١٧١ م) وخطب للخليفة العباسي المستضيء ،ولم تمضي ايام على قطع الخطبة للفاطميين ،حتى توفي العاضد ،آخر الحكام الفاطميين في مصر ،وانتهت الدولة الفاطمية بوفاته .

المصادر /

١- ابن الاثير ،الكامل في التاريخ
٢- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون
٣- ابن خلكان ،وفيات الاعيان
٤- ابن عذاري ،البيان المغرب
٥- المقريزي ،اتعاظ الحنفا
٦- القلقشندي ،صبح الاعشى
٧- طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

أ.م.د اسراء طارق الجبوري
دويلات اسلامية
المرحلة الرابعة /قسم التاريخ